الفصل الثالث
التقنية الحديثة للعلاج بالتنويم!

يستخدم المعالجُ بالتنويم عدةَ وسائل في علاجه، والتي منها على سبيل المثال: سؤال المريض بأن يركِّز نظره على شيء ما أمامه، وأن يسترخي تدريجيًّا ، حتى يصل إلى مرحلة يكون فيها غيرَ واعٍ لما يدور حوله بدرجة كافية.

ويشترط للعلاج بالتنويم أن يكون المريض متفاعلًا ومستعدًّا للتعاون مع المعالج، ورغم ذلك فإن هناك (٥ – ١٠٪) من الناس لا يمكن تنويمهم، مهما بلغت مهارةُ المعالج ودرجة تعاون المريض معه، في حين تختلف درجة القابلية للإيحاء عند الـ(٩٠٪) الآخرين، كما أنه يمكن أيضًا للمريض نفسه بعد فترة من التدريب أن يقوم بتنويم نفسه.

وتختلف طرق التنويم بحسب الغاية التي من أجلها يُنوَّم الإنسان أو الوسيط، فقد يكون المنوِّم مشعوِذًا أو طبيبًا أو باحثًا أو هاويًا، فيكون الهدف أحيانًا هو خداعَ الناس أو تسليتهم، أو يكون طبيبًا بحيث يستخدم التنويم، لعلاج بعض الحالات النفسية، وقد يكون الهدف إجراءَ بعض التجارب والبحوث، أو يكون مجردَ هواية لمحاولة استشفاف الغيب،

ومهما يكن الهدف من التنويم، فإنه يجب أن يتم في مكان هادئ ونورٍ خافت، بعيدًا عن اللون الأحمر والألوان الزاهية البرَّاقة، كما يجب أن يستلقي الوسيط على مقعد وَثِير بطريقة مريحة، وأن يحل رابطة العنق والأحزمة الضاغطة وينزع الأحذية الضيقة، ثم يجب أن يعرف الوسيط الهدفَ من النوم، وأن لا خطرَ من التنويم المغناطيسي على النائم، كما يطلب منه عدمُ المقاومة، وأن يكون إيجابيًّا خلال مراحل النوم،

ثم يبدأ المنوِّم بالإيحاء النفسي.. معتمدًا في ذلك على استغلال بعض الأشياء، التي تحدث طبيعيًّا في جسد الإنسان، ونوضح ذلك على النحو التالي:

- في البداية، يطلب المنوِّم من الوسيط أن يجلس ويداه مفتوحتان على ركبتيه، بحيث يكون باطنُ الكف إلى أعلى، فيوهمه بأن أصابعه سوف تنقبض بتأثير قوة التيار المغناطيسي الذي يوجهه المنوِّم.
- وبعد لحظات يشعر الوسيط بأن أصابعه – فعلًا – تبدأ في الانقباض.. وهذا الشعور طبيعي لأن أي إنسان إذا ما أرخى عضلات يده، فإنه سوف يجد أن أصابعه تنقبض تلقائيًّا.
- فإذا أحسّ الوسيط أن أصابعه قد بدأت تنقبض، توهَّم أن هذا الانقباض نتج فعلًا بتأثير من المنوِّم.
- ثم بعد ذلك يوهمه المنوِّمُ بأن يديه كما انقبضت بفعل التأثير المغناطيسي سوف تنقلب تلقائيًّا، بحيث يصبح باطنُ اليد إلى أسفل بعد أن كان إلى أعلى.
- وفعلًا بعد أن تنقبض الأصابع تدور اليد كما أشار المنوِّمُ، وهذا أيضًا أمرٌ طبيعي، ويمكن لأي إنسان أن يجرب ذلك بنفسه.
- فإذا شعر هذا الوسيط، والذي غالبًا ما يكون إنسانًا بسيطًا، أو مثقفًا طيب القلب، يصدق كل ما يقال له، فإنه ينقاد انقيادًا أعمى إلى المنوِّم، فتزداد ثقته به وبكلامه وبطاقته المغناطيسية.
- وبعدها يتحول المنوِّم بالإيحاء إلى عيون الوسيط، بعد أن يضع أمامه كرةً صغيرةً لامعةً، ويطلب منه أن يحدِّق فيها ولا يلتفت لسواها، فيوحي إليه بأن أجفانه سوف تصبح ثقيلةً وتأخذ بالانغلاق رويدًا رويدًا، وأن محاولة فتحها أصبح أمرًا صعبًا، وأن عليه الاستسلام وإغلاقها؛ كي لا يتعب.
- والحيلة الكامنة هنا هي أن المنوِّم يضع الكرةَ اللامعة على مسافة قريبة جدًّا، من عيني الوسيط وفوق مستوى النظر، وهذه الوضعية يتوخاها المنوِّم، لهدفين:

١- **الهدف الأول:** هو جعل عضلات عدسة العين الشعرية (Ciliary Bodies)، تعمل بكامل طاقتها وقدرتها لتركيز الصورة على شبكة العين (Retina)، وهذا يؤدي لشعور العين بالتعب كما أن وضع الكرة اللامعة فوق مستوى العين، يُجبر عضلات الجفن الأعلى على الانقباض بصورة أشدّ من الحالة العادية، وهذا ما يجعلها تتعب.

٢- **أما الهدف الثاني:** فيكمن في بريق الكرة، إذ إن التحديق في جسم لامع يخفِّف من نشاط وحيوية الإنسان، ويعزله عما يدور حوله من أمور، فإذا تعبت العين وقلَّ النشاط والحيوية وأخذ يشعر بلحظات انسلاخ من المحيط الموجود فيه، ازدادت ثقته وقناعته بكلام المنوِّم إلى حد كبير ، بحيث لا يعود يشكّ في أية كلمة يسمعها منه.

- فإذا وصل المنوِّم إلى هذا الحد، أوحى إليه بأن الأصوات حوله بدأت تخف، وأنه لا صوتَ يُسمع سوى صوت المنوِّم، وبأن شعورًا جارفًا بالنوم بدأ ينتابه، ولا فائدةَ من مقاومته وأن عليه الاستسلام؛ لأن النوم فيه راحة له.
- ثم يقول له بعدها بأن أنفاسه قد أصبحت طويلة، وبأن جسده أصبح خفيفًا جدًّا وهكذا يستمر المنوِّم بالإيحاء عن طريق استغلال أشياء حقيقة تحصل في جسد النائم حتى تحصل الحالة التي نسميها (النوم المغناطيسي).

وحينما يكون المريض تحت تأثير التنويم، سواءً بمساعدة عقار مثل "أميتال الصوديوم" أو بدون استخدام العقاقير، فإن المعالج يتركه يتحدث كيف يشاء، ثم يستخدم ذلك في العلاج لاحقًا.

- **وتتصف الحالة التي تنتاب المريضَ أثناء العلاج بالتنويم، بالتغيرات التالية:**

١- انعدام روح المبادرة وانتظار المريض لأوامر معالجه.

٢- انعدام الاستجابة للمؤثرات الخارجية، سوى ما يوجِّهه إليه المعالج.

٣- ازدياد القابلية للإيحاء.

٤- ضعف ارتباط المريض بالواقع من حوله.

٥- شعور المريض ببعض التخيُّلات الغريبة، كشعوره بأنه موجود في زمان ومكان غير الزمان والمكان اللذَين يحياهما.

٦- نسيان المريض لما حدث أثناء جلسة العلاج في بعض الأحيان، خصوصًا عند ذوي الشخصيات القابلة للإيحاء بشكلٍ كبير، عندما يأمرهم المعالج بذلك.

ولعل بعض طلبة العلم، يتحرج فيما يتعلق بحكمٍ مثل هذه الطريقة العلاجية، حيث إن المسلم مأمورٌ بتجنب كل ما يؤثِّر على وعيه وإدراكه، إلا ما دعت إليه الضرورةُ كالبنج في العمليات الجراحية حتى لا يشعر المريضُ بالألم.

وفي الحقيقة فإن الألم النفسي، الذي يعاني منه المرضى النفسيون، لا يقل في بعض الأحيان عن الألم العضوي.. بل قد يفوقه.

ورغم عدم انتشار هذا اللون من العلاج في العصر الحديث بشكلٍ كبيرٍ، إلا أنه مازال يُستخدم في بعض المراكز العلاجية، وفي نظري أنه يمكن الاستفادة من هذا اللون من العلاج في مجتمعاتنا الإسلامية، وتسخير ذلك أيضًا في تقوية الجانب الروحي والنفسي معًا لدى المريض.

ومما يجدر ذكره أن بعض المراجع الغربية تعتبر بعضَ الشعائر التعبدية عند المسلمين هي نوعًا من العلاج بالتنويم؛ وذلك لأن المسلم يتجه بمشاعره أثناء العبادة باتجاهٍ واحدٍ فيقلل ذلك من تأثير المثيرات الخارجية الأخرى عليه.

ورغم الإيمان بصحة تفسير أولئك العلماء بأن المسلم يتجه بمشاعره باتجاه واحد – هذا إذا كان خاشعًا – إلا أن الاستنتاج الذي بَنَوه على ذلك وهو أن ذلك نوع من العلاج بالتنويم، إنما جاء بسبب فراغ أرواح كثيرٍ من أولئك العلماء من حقيقة الإيمان بالله وعدم تذوقهم للذة الطاعة، وارتباط الدين في حس الكثير منهم بالوهم والخيالات، وإلا فالواقع يشهد بغير ذلك.

كما أنه ربما يكون قصد بعضهم تجريدَ الدين من أي أثرٍ علاجيٍّ فعَّال بسبب آثاره الروحية، وربط الناس بالآثار والقوى النفسية، وجعل الدين مجردَ وسيلة نفسية يمكن الاستغناءُ عنها بغيرها.

وفيما يتعلق بإنهاء جلسة التنويم المغناطيسي فإن إنهاء غشية التنويم ليس بأمر صعب، إذ يبقى الشخص في حالة تنويم، إلى أن يتلقى إشارةً من منوِّمه، كأن يعد المنوِّمُ حتى رقم خمسة، أو يوحي إلى المنوِّم بالإيقاظ بصورة غير مباشرة، أو يصدر عنه صوت، وأحيانًا ينهي الشخص التجربة بنفسه، حتى لو لم يتلق أيَّة إشارة.

لكن قد يواجه المنوِّم صعوبةً أحيانًا في إنهاء الجلسة، وهذا أحد الأسباب التي تدعو إلى قصر ممارسة التنويم على المحترفين.

أما عن الظواهر النفسية التي يمكن أن تصاحب النائم، بعد الاستيقاظ من النوم المغناطيسي، فإنه قد يستمر مفعولها داخلَ اليقظة بعد انتهاء النوم، وعلى هذه الحقيقة أُسِّست المعالجة بالتنويم المغناطيسي، ففي النوم يعطي الطبيبُ للنائم إيحاءاتٍ شفهية، يتحقق مضمونُها في اليقظة بعد النوم، وفي قدرة الطبيب أن يؤقت تحقيقَ الإيحاء، بأن يجعله فور الاستيقاظ مباشرة، أو بعد ذلك بساعات، أو أيام أو أسابيع أو أشهر، ويسمى الإيحاءُ في الحالات الأخيرة بالإيحاء المؤجَّل التنفيذ.